الفصل الثالث

مقبرة اليوسفية

﴿باب الأسباط﴾

obeikandl.com

obeikandl.com

مقبرة اليوسفية ﴿ باب الأسباط﴾

1.3 نبذة تاريخية:

لم تحظ هذه المقبرة باهتمام الكتاب والمؤرخين مقارنة بمثيلاتها في بيت المقدس، على الرغم من كبر مساحتها، وعظم مكانتها لما تضم في باطنها من رفات الشهداء والعلماء والمجاهدين والصالحين، وقد يحسبها المرء أنها امتداد طبيعي لمقبرة "باب الرحمة"، حيث تقع إلى الشمال منها، ويفصلهما عن بعضهما البعض الطريق الرئيسي الصاعد إلى باب الأسباط أحد أهم الأبواب الرئيسية للقدس القديمة. ومن المرجح أنها أقيمت في العهد الأيوبي، وقد سميت "باليوسفية" نسبة إلى يوسف بن شادي –أي صلاح الدين الأيوبي– وهي المقبرة التي تقع شمال باب الأسباط، كما يقول الأستاذ هايل صندوقه، وهو باحث في شؤون الاستيطان اليهودي في القدس المحتلة، وأمين سر جمعية القدس للترميم والتعمير، حيث أضاف بأن بركة الماء التاريخية التي كانت تقع في الجزء الجنوبي للمقبرة تتبع للمدرسة الصلاحية،[79] والتي أعيدت للكنيسة زمن جمال باشا. وقد قامت الأوقاف الإسلامية مؤخراً بردمها، واستخدامها كمدافن للمسلمين. وقد ذكر محمد بن يوسف الكندي في كتابه (ولاة مصر) أن أبا الحسن علي بن الإخشيد والذي توفي عام 355هـ حُمل في تابوت إلى بيت المقدس، ودفن مع أخيه ووالده بباب الأسباط.[80] ويشير تاريخ الدفن هنا إلى عهد الدولة الفاطمية في مصر، ولم يكن هنالك مقبرة تعرف بهذا الاسم. ويمكن الاستنتاج في هذا المقام أن المقصود، هو مكان قريب من باب المدينة الشرقي والمعروف بباب الاسباط، ويرجح أن تكون المقبرة المقصودة هي "باب الرحمة"، كونها تعود إلى الحقبة العمرية، مما يؤكد على أن إنشاء مقبرة باب الأسباط أو اليوسفية يعود إلى العهد الصلاحي، وأنه جرى تطويرها ربما زمن المماليك فيما

(79) عبارة عن كنيسة ودير يقعان على يمين الداخل من باب الأسباط (الأسود)، ويتميز بكونه مزيجاً من النمط المعماري الروماني\الإسلامي، ولا تزال فيها نقوش قرآنية منذ العهد الصلاحي، حيث كانت مدرسة دينية إسلامية، ثم أعيدت إلى الكنيسة وفيها قبر يعتقد بأنه قبر السيدة (حنة) أم السيدة العذراء مريم (عليها السلام). (من كتاب تجول في القدس/د. محمد بحيص عرامين وناصر الرفاعي). ونظراً لما يتمتع به شيخ الصلاحية (زمن المماليك) من مكانة لدى السلطان المملوكي، كان إذا توجه نحو القاهرة، يخرج إلى استقباله أمير كبير من أمراء المماليك، ويصحبه ويصعد به إلى قلعة الجبل حيث يستقبله السلطاو ،نكان الأخير يقبل عليه ويرحب به ويجلسه على يمينه.

(80) محمد بن يوسف الكنو ،يدلاة م ..، ص: 313.

بعد. وذلك على الرغم من أن بعض المؤرخين يرجعون إقامتها إلى قانصواه اليحياوي كافل الديار الشامية زمن المماليك، والذي يقال بأنه عمّر مدفناً له ولأولاده شمال مقبرة الرحمة، فإذا صحت هذه الرواية فإن السؤال الذي يطرح نفسه هو، أولاً: لماذا سميت باليوسفية؟ وثانياً: لماذا لا يوجد أي أثر لهذه التربة على الإطلاق، ولم تذكر من قبل الرحالة الأوائل من العلماء والمؤرخين؟. إذن لهذه الأسباب ولأسباب أخرى، فإنني أرجح بأن تلك المقبرة أقيمت زمن الحقبة الأيوبية، وكل ما هو معلوم عنها هو كما يقول صاحب (المفصل في تاريخ القدس) عارف العارف أنها أنشئت من قبل اليحياوي عام 895هـ/ 1489م. ويجري الآن إقامة أسوار استنادية قوية تحيط بكامل أراضي المقبرة، لحماية تربتها من الانهيار، حيث أصبحت بعض القبور مهددة بالاندثار نتيجة للأمطار وعدم صلاحية السور القديم المحيط بها. وقد أقيم هذا المشروع على نفقة الحكومة التركية التي أظهرت في السنوات الأخيرة اهتماماً خاصاً بصيانة المقابر الإسلامية، والمعالم التاريخية التي تعود للحقبة العثمانية، ويستطيع الصاعد إلى باب الأسباط أن يقرأ نقشاً ملّوناً باللغات (العربية والتركية والانجليزية) على لوحة مثبّتة على زاوية السور الجنوبية الشرقية والجنوبية الغربية ما نصّه:

1. تم تمويل إنشاء
2. جدار مقبرة اليوسفية
3. بدعم من الجمهورية التركية
4. 2009 – 2010

2.3 وصف عام للمقبرة:

تقع مقبرة اليوسفية، أو مقبرة باب الأسباط، كما هي مشهورة على ألسنة الناس، على ربوة مرتفعة تمتد من باب السور الشرقي (باب الأسباط) إلى زاويته الشمالية، ومنها إلى ناحية الشرق بحوالي 35-40 متراً على

وجه التقريب، وتلتقي حدودها مع الشارع العام المسمى (طريق أريحا)، والذي ينحدر جنوباً إلى أن يتقاطع مع الشارع الصاعد إلى باب الأسباط ، وذلك بطول حوالي 230 متراً، منها 50 متراً هي طول قطعة الارض التي يقع في طرفها الشمالي النصب التذكاري لشهداء حرب عام 1967م، وهي أرض خلاء حرجية تخلو من أية قبور، أما المساحة المتبقية فطولها 180 متراً على وجه التقريب، وهو الطول الفعلي للمقبرة،(أنظر الرسم التقريبي للمقبرة على الصفحة التالية)، وبذلك تكون قد احتلت رقعة واسعة من الأرض على شكل شبه منحرف، حيث تتسع في الجنوب ليصل عرضها حوالي105 متراً، وتضيق كلما اتجهنا ناحية الشمال. واليوسفية ليست ملاصقة للسور، كما هو الحال بالنسبة لمقبرة "باب الرحمة "، بل يفصلها عن السور مسافة تتراوح بين 10-15 متراً، ويستخدم هذا الفضاء كطريق واسع ينحدر إلى باب الأسباط، تاركاً المجال لأعداد كبيرة من الناس، وخاصة المصلين للوصول إلى المسجد الأقصى لأداء الصلاة أو الوصول إلى الأحياء المجاورة له في البلدة القديمة. وقد تم تثبيت مقاعد للجلوس على جانبي الطريق من قبل "متطوعي مؤسسة العناية الأهلية وأبناء القدس"، كما تفصح عن ذلك اللوحة المعدنية المثبتة على السياج الحديدي الفاصل بين الطريق والمقبرة من الناحية الشرقية.

وللمقبرة اليوسفية بوابتان؛ أحداهما في الشمال بالقرب لما يعرف عند الناس بسوق الجمعة، حيث كان يجري في هذا المكان بيع وشراء الأغنام والدواب الأخرى أيام الجمع، قبل أن يتم إلغاؤه من قبل بلدية الاحتلال، ويبلغ عرض تلك البوابة الحديدية ذات اللون الأخضر 290سم، وارتفاعها 3 أمتار.

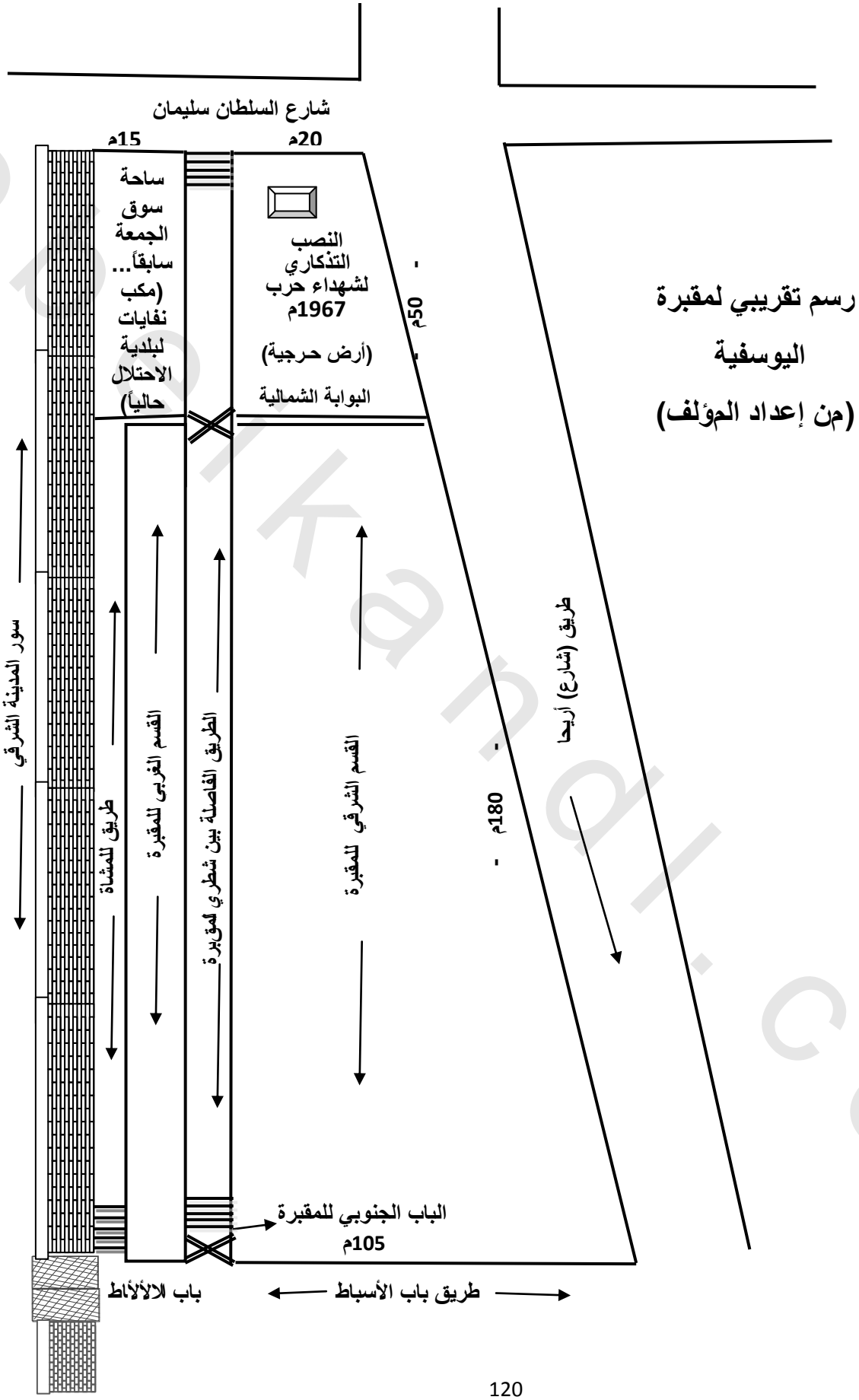

رسم تقريبي لمقبرة اليوسفية

(من إعداد المؤلف)

opalkanal.com

وعن يمين الداخل من تلك البوابة، ثبتت لوحتين رخاميتين؛ الأولى، وهي الأقرب إلى القائم الأيمن للبوابة وقياسها (50×70سم)، وقد كتب عليها النص التالي في سبعة أسطر:

1. بسم الله الرحمن الرحيم
2. دائرة الأوقاف العامة
3. مشروع ترميم المقبرة اليوسفية
4. تمويل جمعية الهلال الأحمر لدولة الإمارات العربية المتحدة
5. أبو ظبي
6. تنفيذ وإشراف لجنة التراث الإسلامي – بيت المقدس
7. 2002م –1422 هـ

أما اللوحة الثانية، وهي إلى الغرب قليلاً من الأولى، وقياسها (50×100 سم)، فقد نقش عليها في ثلاثة أسطر ما نصّه:

1. لا اله إلا الله محمد رسول الله
2. كل نفس ذائقة الموت
3. مقبرة اليوسفية

وأما بالنسبة للبوابة الجنوبية، والتي لا تبعد عن باب المدينة الشرقي المسمى (باب الأسباط)، سوى بضعة أمتار،فيبلغ عرضها حوالي 3 أمتار، ويتم الصعود منها إلى المقبرة عبر 28 درجة حجرية. وقد ثبت على يسار الداخل من تلك البوابة، وقبل الصعود عبر الدرج، لوحة رخامية قياسها (60×70سم)، كتب عليها ما نصّه في سبعة أسطر:

1. بسم الله الرحمن الرحيم
2. دائرة الأوقاف العامة
3. مشروع ترميم المقبرة اليوسفية
4. تمويل جمعية الهلال الأحمر لدولة الإمارات العربية المتحدة
5. أبو ظبي
6. تنفيذ وإشراف لجنة التراث الإسلامي – بيت المقدس
7. 2002/ 1422 هـ

وترتبط البوابتان بطريق مرصوفة بالحجارة البيضاء بعرض حوالي 4 أمتار، بحيث تفصل المقبرة إلى نصفين؛ الغربي، وهو الممتد من الطرف الغربي للطريق ولغاية الطرف الشرقي للطريق المحاذية للسور آنفة الذكر، والشرقي، الممتد من الطرف الشرقي للطريق وحتى حدود المقبرة شرقاً والمطل على الشارع العام. وهذا القسم من المقبرة يبلغ حوالي ضعفي مساحة القسم الغربي أو ربما أكثر من ذلك بقليل.

إن الداخل من البوابة الشمالية للمقبرة، يجد على يساره لوحة قياسها (60× 70سم) وقد كتب عليها ما يلي في سبعة أسطر:

1. .بسم الله الرحمن الرحيم
2. تم المساهمة بتطوير
3. المقبرة اليوسفية الإسلامية
4. صدقة جارية عن روح
5. مصطفى محمد العلمي
6. رحمه الله وأحسن إليه
7. 1431هـ 2010م

وبذلك يتضح لدينا أن أطرافاً ثلاثة اشتركت جميعها في تعمير وترميم المقبرة وتجديدها، وهي؛ دولة الإمارات العربية المتحدة، الجمهورية التركية، وورثة المرحوم مصطفى العلمي، جزاهم الله كل خير.

وما أن يكمل السائر طريقه وعلى بعد 20-25 متراً من اللوحة سابقة الذكر، حتى يجد نفسه تحت مظلة مسقوفة بطريقة أنيقة من الصفيح المدعم بأربعة قوائم حديدية قوية، مطلية باللون الأخضر، طولها 12 متراً وعرضها 4 أمتار، وتستخدم كمظلة للعزاء بعد إجراء الدفن مباشرة. وإلى يمين الداخل من البوابة الشمالية، وقبل أن يصل إلى مظلة العزاء، فإن أول ما يجذب الانتباه بناء بارز مستطيل الشكل تقريباً، بني على ربوة صخرية مرتفعة، طوله من الغرب إلى الشرق 7 أمتار، وعرضه من الشمال إلى الجنوب 4 أمتار، وبارتفاع 3 أمتار، وفوق البناء قبة من الحديد المفّرغ (أي من القضبان الحديدية غير المتصلة). يمكن الدخول إلى البناء عبر بوابة صغيرة من الجهة الشرقية، وهذا البناء عبارة عن مدفن خاص لعائلة الدجاني المقدسية، وبداخله أربعة قبور بعضها بحالة سيئة. وتحت هذا المدفن إلى الشرق قليلاً مدفن كبير طوله حوالي 10 أمتار وارتفاعه 280سم، وثبت عليه أربع لوحات رخامية وحجرية: الأولى من الشمال، مدفن لشهداء حرب عام 1967م وبه عدد كبير من الشهداء، والثانية، فوق ضريح المرحوم الدكتور حسام وفا الدجاني، والثالثة، تخص المرحوم كامل يوسف الدجاني، والأخيرة للمرحومة ناهدة عثمان أغا- أرملة المرحوم وفا يوسف الدجاني- المدفون في البناء ذو القبة الحديدية آنفة الذكر.

وفي وسط المقبرة تماماً، تقع مظلة العزاء الثانية، وهي أكبر من سابقتها، إذ يبلغ طولها حوالي 30 متراً، وعرضها خمسة أمتار ونصف المتر، وقد أقيمت بنفس مواصفات المظلّة الشمالية سابقة الذكر. كما أقيم في طرفها الجنوبي الشرقي سبيلاً للماء كصدقة جارية عن روح المرحوم عبد القادر جودة (رحمه الله)، وتم تركيب مقاعد للجلوس على جانبي المظلة.

تعتبر القبور في الناحية الغربية من الطريق التي تفصل المقبرة إلى شطرين: شرقي وغربي، كما أسلفنا، مزيجاً من القديمة والحديثة، وفي غالبيتها تشكل مدافن للعائلات المقدسية حرصاً من الناس على عدم تشتت القبور

وحصرها في أمكنة معينة. ومن أهم أسماء العائلات التي استطعت تسجيلها عبر التنقل بين القبور والمدافن في زيارتي الميدانية الأولى لهذا الشطر من المقبرة (لغاية إجراء هذه الدراسة) يوم الأربعاء الموافق 2012/7/4: القواسمي، جويلس، السلايمة، الجولاني، أبو لافي، الصوص، الدجاني، أبو أسنينة، الشرباتي، جرادات، قليبو، غرابلي، الدويك، بركات، عبده، أبو هدوان، أبو ليل، الشاعر، الأنصاري، الشويكي، الحزينة، الترهي، الحلواني، المملوك، الرجبي، المهلوس، القرجولي،زايد، الارناؤط، صبيح، المغربي، سلهب، التميمي، الكردي، جعفر، عرامين، آل البحر، الصالحي، علوش، عرفة، العفيفي، الرشق، القطب، شلالدة، كستيرو، الديسي، التيجاني، الغفاري، أبو ارميلة، الطوري، عابدين، المصري، أبو عصب، أبو عيشة، كمال، صيام، الأيوبي، الصيداوي، مراد، الآي أميني، سفيان، أبو رموز، صب لبن، مسك، الأشهب، محفوظ، مناصرة، الددو، العموري، الهيموني، الزيدات، مجاهد، السويطي، بدر، كرامة، اهديب، قرّش، الرجوب، حمدان، الخطاري، برقان، غيث، الطويل، عاشور، الغزالي، عجاج، يغمور، حسونة، البدري، أبو زنيد، نصّار، الفروخ، أبو غربية، المطور، الزماميري، القاسم، الشاعر، أبو خلف، كردية، الجعبة، الزير، أبو قويدر، جابر، أبو نجمة، الحشيم، بسيسو، حجيج، استانبولي، البطش، مراد، البشيتي (وسآتي على ذكر الشهداء الأبرار وأعيان المدينة في الصفحات القليلة القادمة من هذا الفصل).

وكما ذكرت سابقاً، فإن الجزء الشرقي من مقبرة اليوسفية اكبر بكثير من الجزء الغربي، وتبلغ مساحته حوالي ضعفي مساحة الجزء الغربي (غربي الطريق الفاصلة بين شطري المقبرة). ولهذا كان لا بد من تخصيص أكثر من زيارة ميدانية لهذا الشطر، للوقوف على معالم المقبرة، وأهم مدافنها العائلية، بما في ذلك إحصاء عدد الشهداء الأبرار، وأعيان وشخصيات المدينة الذين احتضنتهم هذه المقبرة التاريخية. ففي زيارتي الثانية يوم الأحد الموافق 2012/7/15م استطعت بما تيسّر لي من إمكانيات تغطية الجزء الشمالي الشرقي من المقبرة، حيث وقفت على عدة مدافن عائلية، أبرزها؛ مدفن آل الدجاني، ويليه إلى الشرق قليلاً مدفن آل العسلي، ومن ثم مدفن آل بركات، وآخر لآل البديري، ومدفن آل النمري، ومدفن آل المهتدي، ولآل الانصاري، والجاعوني،

والبيطار، والنتشة، والداوودي، والرملاوي، وكبوب، وآل الملح، ودعنا، والمحتسب، والتوتنجي، ورابية، وأبو الحلاوة، وحجازي، وحجير، وغرّة، وعويضة، وأبو لبدة، والكيالي، والشلودي، وغانم، والعداوية، ونيروخ، وأبو غزالة، والقاروط، وزاهدة، وعبد ربه، والفاخوري، والشهابي، وغراب، والريماوي، وبدرية، والمتولي، وعبيد، والدقاق، والمظفر، وأبو صلب، والخربطلي، وطوطح، والبلبيسي، وازحيمان، والكرشان، والعكاري، وقطينة، وسلهب، ومسك، وأبو ميزر، والخطيب الكناني، وطه أبو اسنينة، والعجلوني، والسكافي، والمحسيري، وغوشة، والنخّال، وحسنا، وكردية.....

وقد لاحظت بأن القبور الجماعية (الفستقيات) تخضع لعمليات ترميم وتجديد بشكل مستمر، بينما القبور الفردية، خاصة القديمة منها، فبعضها بحالة جيدة خاصة تلك المحاطة بدربزين من حديد، غير أن البعض الآخر بحالة سيئة، يصعب معها قراءة النصوص المحفورة على شواهدها، أو أنها بدأت تتآكل وتتهدم بفعل القَدِم وعوامل الطقس وقلّة الاعتناء بها.

تركزت زيارتي الميدانية الثالثة يوم الخميس الموافق 2012/7/19م، على استكمال الوقوف على أهم وأبرز معالم الشطر الشرقي للمقبرة من منتصفه تقريباً والى أقصى نقطة في الشرق بمحاذاة الشارع الرئيسي، وأقصى نقطة في جنوب المقبرة بمحاذاة الشارع الصاعد إلى باب الأسباط. وباستثناء بعض الأضرحة والقبور القديمة المزخرفة والتي لا زالت ظاهرة وبارزة للعيان، وبعض قبور الشهداء والأعيان وشخصيات المدينة، يمكن ملاحظة انتشار المدافن العائلية بصورة جليّة –كما هو الحال بالنسبة لبقية أجزاء المقبرة–، ومن أبرزها؛ مدفن (آل ادكيدك)، ومدفن (آل الخطيب الكناني)، ومدفن (آل طه أبو اسنينة)، ومدفن (آل غوشة)، ومدفن (الجالية الإفريقية)، ومدفن (آل سدر)، (وآل محمد علي)، ومدفن (آل علقم)، ومدفن (آل ناصر الدين)، ومدفن (آل حرحش)، ومدفن (آل نجيب)، ومدفن (آل عسيلة)، وأخرى لعائلات مثل: قطينة، واللداوية، وغانم، والبغدادي، وزاهدة، وأبو حمادة، وزلوم، والبيطار، والبكري، والجنيدي، والأسمر، وأبو عيد، وأصلان، والكالوتي، والزبيدي، والقطناوي، وأبو فرحة، وطقش، والملاعبي، وأبو شريف، وسويدان، وقرّي، والباسطي، والكرد، والزرو، والأيوبي، وهلسة، ومجاهد، وغيث، والخياط، والغزاوي، والجبريني، وفريتخ، ومسودة، والزيتاوي، وشبانة، وفرّاح، وصبيح، والكركي، وخشّان، وأبو قويدر، والساريسي، وعويضة،

والبياع، وادريس، وشاور، وبرهوم، والسلفيتي، ومطير، والشامي، والمصري، والجعبري،وعياش، والجمزاوي، والكسواني، والعرامين، وأبو سارة، والأشهب، والزغل والعكرماوي، والعبيدي، والشوعاني، وجمهور، والدبس، ودنديس، وغروف، والرموني، وأبو رجب، وأبو سرية، والسيوري، وحواس، والوحيدي، والديري، والجيوسي، وصندوقة، والترتير، وخميس، وأبو زيّاد، والشنطي وسنقرط، والجمل، والشخشير، والأطرش، وسرندح، والجريري، والشلودي.

وبالرغم من أن حالة المدافن والقبور بصورة عامة في هذا الشطر جيدة ومصانة، إلا أنني لم أتمكن من توثيق أو التعرف على بعض المدافن الكبيرة والبارزة، وذلك بسبب تعذر الوصول إلى الأضرحة بداخلها بفعل كثافة الأشواك والأشجار البرية التي نبتت بها (انظر الصورة الثانية صفحة 138 كمثال فقط على ما ذكرت)، وليكن هذا الأمر بمثابة دعوة عاجلة لمعالجة هذه القضية من قبل الأهالي والجهات المسؤولة عن رعاية مقابر المسلمين، وذلك للحفاظ على حرمة المقابر، وتنظيفها باستمرار، وتسهيل عملية الدفن فيها. وكذا الحال بالنسبة لبقية المقابر في بيت المقدس وخاصة مقبرة باب الرحمة، وتحديداً في القسم الشرقي منها.

3.3 في معالم المقبرة الرئيسية:

1.3.3- النصب التذكاري لشهداء حرب عام 1967م:

أقيم هذا النصب لتخليد ذكرى الشهداء البواسل الذين ارتقوا إلى العلى في معركة الدفاع عن القدس، في حرب العام 1967م، من المجاهدين من أبناء البلد، والجنود الأردنيين الذين استبسلوا في الدفاع عن المدينة، وخاصة في المناطق المحيطة بالنصب، حيث كانت معركة (المتحف الفلسطيني) من أشرس

المعارك التي خاضها نفر قليل من الجنود والمناضلين ضد قوات الاحتلال الإسرائيلي الغازية، والتي استخدمت كافة أنواع الأسلحة الفتاكة، وخاصة الطائرات الحربية والمدفعية، مما أوقع عدداً كبيراً من الشهداء بعد أن كبّدوا العدو خسائر فادحة في الأرواح والمعدات بأسلحتهم الخفيفة. وقد بقيت جثث الشهداء في العراء تحت أشعة شمس حزيران الحارقة لأيام عدة، قبل أن تسمح سلطات الاحتلال للأهالي والمتطوعين بدفنهم في مقبرة جماعية، على يمين الداخل إلى اليوسفية، وإلى الشرق قليلاً من مدفن القبّة الحديدية (مدفن آل الدجاني)، الذي أتينا على ذكره في وصفنا للمقبرة، وقد ثبتت لوحة رخامية نقش عليها النص التالي في أربعة اسطر:

1. شهداء الواجب
2. لبوا نداء الله في معركة الشرف
3. في القدس بتاريخ 27 صفر 1387 هـ
4. الموافق 6 حزيران 1967م

أقيم النصب التذكاري على ثلاث مساطب حجرية (درجات حجرية)؛ الأولى، قياسها 4م×4م، والثانية فوقها، قياسها 1.85م×2.58م، والثالثة، وهي الأصغر، وقياسها 2.24م × 2.24م. وقد شيّد في أرض خلاء مرتفعة على يسار الصاعد إلى المقبرة من جهة الشمال (الشارع الرئيسي)، ويبلغ ارتفاعه عن المسطبة (الدرجة) الثالثة سابقة الذكر 3 أمتار، وعرضه عند القاعدة 85×85سم، بينما لم يبلغ عرضه عند القمة أكثر من نصف متر، وقد نقش على واجهته الشمالية في سبعة أسطر ما نصّه:

1. بسم الله الرحمن الرحيم
2. ولا تحسبن الذين قتلوا في
3. سبيل الله
4. أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون
5. ذكرى
6. شهداء معركة الشرف في القدس

7. في 27 صفر سنة 1387 هـ – 5 حزيران سنة 1967م.

ومن الجدير بالذكر هنا، أن القائد الشهيد فيصل الحسيني، اعتاد زيارة هذا النصب في مناسبة إقامته في كل عام، وفي مناسبات أخرى، خاصة في الأعياد الرسمية، هو وجمع من أعيان وشخصيات المدينة، ووضع أكاليل الزهور على النصب التذكاري، وذلك قبل وفاته (رحمه الله) في حزيران 2001م.

2.3.3- قبور الشهداء والأعيان:

إن إقامة مقبرة اليوسفية في العهد الأيوبي كما أسلفنا، لم تكن إلا استجابة لحاجة هذا العصر الذهبي الذي شهد تحرير القدس وفلسطين من أيدي الفرنجة الأوروبيين، على أيدي القائد المسلم صلاح الدين الأيوبي ومن جاءوا بعده من ذريته ليكملوا مهمة الدفاع عن هذه الديار الطاهرة. فقد عهد صلاح الدين الذي توفي عام (589هـ/1193م) في دمشق ودفن فيها، إلى علي الملقب بـ" الأفضل"- وهو الابن البكر- بالشام وفلسطين، كما عهد إلى عثمان الملقب بـ" الملك العزيز" بمصر، وعهد إلى غازي الملقب بـ" الملك الظاهر " بحلب. ولقد سقط العديد من المجاهدين من جنود صلاح الدين الذين أتى بهم من المشرق والمغرب، ومن كل بقاع العرب والمسلمين في حربهم مع الفرنجة، فكان لا بد والحالة هذه من إقامة مقبرة بجوار المسجد الأقصى المبارك لدفن جثامين الشهداء الأبطال في ثراها، وفي مقابر أخرى في بيت المقدس، خاصة مقبرة المجاهدين أو مقبرة " باب الساهرة"، التي أمر كذلك صلاح الدين بالدفن فيها والتي تقع شمالي المدينة. وقد استمر الدفن في هذه المقابر منذ ذلك الزمن وحتى يومنا الحاضر. لذا فإن مقبرة اليوسفية كغيرها من مقابر بيت المقدس، تضم في ثراها جثامين العديد من الشهداء الأبرار، ومن العلماء والفقهاء والقضاة والصالحين، ومن أعيان ووجهاء المدينة وما حولها الذين ساهموا في نهضة الأمة في الحقول التربوية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية وفي الإصلاح بين الناس، أمثال المرحوم وفا يوسف الدجاني (ت سنة 1955م)، المرحوم الدكتور حسام وفا الدجاني (ت سنة 1976م)، المرحوم عزيز شاكر الداوودي الدجاني/عميد العائلة الدجانية (ت سنة 1375هـ)، المرحوم المربي عبد الله مصطفى العكاوي (ت عام 2005م)، المرحوم الحاج فائق عبد الباري بركات (ت سنة 2009م)، المرحومين المربيين الأستاذ نهاد

عليان أبو غربية (ت سنة 2009م) وولده الأستاذ وجدي نهاد أبو غربية (ت سنة 1999م)، المرحوم إبراهيم الاستانبولي (ت سنة 1353هـ)، المرحوم الدكتور حلمي محي الدين المهتدي (ت سنة 1991م)، المرحوم الدكتور محمد زهدي الدجاني (ت سنة 1975م)، المرحوم المربي الأستاذ الحاج مطر احمد النخال (ت سنة 1993م)، المرحوم الشيخ محمد عبد القادر الكفراوي/خطيب المسجد الأقصى المبارك (ت سنة 1994م)، المرحومين الحاج حسني حسن أبو ميزر (ت سنة 1954م)، ونجله القاضي المرحوم حسن حسني أبو ميزر (ت سنة 1987م)، المرحوم الشيخ محمد محمد إدريس القاضي برناوي/ شيخ الطريقة التيجانية في بيت المقدس (ت سنة 2001م)، المرحوم الشيخ محمد بن بدير البديري، المرحوم الشيخ إبراهيم عبد المجيد البكري/ إمام ومؤذن المسجد الأقصى، المرحوم الأستاذ عيسى قرّش، المرحوم شيخ الزاوية الأفغانية الحاج بلان (ت سنة 1357 هـ)، والمرحوم المربي الأستاذ يوسف قطينة. كما وتضم المقبرة عدداً كبيراً من الشخصيات والمشايخ وكبار الموظفين والأعيان والأطباء والمصلحين العشائريين، من عائلات؛ جابر، أبو اسنينة، وعبده، وغوشة، والخطيب الكناني، والعسلي، والجولاني، والنمري، وسدر، والبديري، وعلقم، وبركات، وادكيدك، والباسطي، ونجيب، وقطينة، والشهابي، والانصاري، والعجلوني، وصندوقة، والكسواني، والجعبري، والأشهب وغيرهم مما لا يتسع المجال لذكرهم، رحمهم الله جميعاً واسكنهم فسيح جناته.

وقد وقعت أثناء تجوالي في أرجاء المقبرة، وفي شطريها؛ الشرقي والغربي، على عدد من شواهد القبور والنقوش الحجرية التي تدل على أن ساكنيها من الشهداء الأبرار، وكانت النتيجة كما يلي (الأسماء مرتبة زمنياً من الأقدم إلى الأحدث):

1. الشهيد سليم أسعد غنيم ﴿من ترمسعيا﴾، استشهد في سنة 1358 هـ ﴿رحمه الله﴾.
2. الشهيد المجاهد عبد الودود جمعة الكركي والذي استشهد في معركة حارة اليهود بالقدس، يوم الثلاثاء 7/ ربيع الثاني سنة 1367هـ ﴿رحمه الله﴾.
3. الشهيد ربحي قمر الدلال، استشهد بتاريخ 6 رمضان سنة 1368هـ ﴿رحمه الله﴾.
4. المدفن الجماعي لعدد كبير من شهداء معركة القدس عام 1967م.

5. الشهيد راضي سعيد الدوو، ورفاقه شهداء معركة القدس، في 6 حزيران 1967م ﴿رحمهم الله﴾.
6. الشهيد طاهر أحمد صندوقة، استشهد في حرب عام 1967م ﴿رحمه الله﴾.
7. الشهيد احمد خليل العسلي، استشهد في معركة القدس عام 1967م ﴿رحمه الله﴾.
8. الشهيد محمود يحيى الكرد، استشهد في 1976/5/18م ﴿رحمه الله﴾.
9. الشهيدان محمود صلاح رباح الشريف وعبد الحافظ كاشور، استشهدا في 3 صفر 1399هـ الموافق 1979/1/1م ﴿رحمهما الله﴾.
10. الشهيد رياض زكريا بركات، استشهد بتاريخ 1980/2/14م ﴿رحمه الله﴾.
11. ضريح لذكرى الشهيد صلاح الدين شاهين ورفاقه، استشهدوا على ارض لبنان عام 1983 ﴿رحمهم الله﴾.
12. الشهيد محمد سعيد رشيد الرشق، استشهد في 1989/2/21م ﴿رحمه الله﴾.
13. الشهيد خالد يوسف الشاويش، استشهد على ارض القدس بتاريخ 4 رمضان 1409هـ الموافق 1989/4/10م ﴿رحمه الله﴾.
14. الشهيد المناضل عمر محمود القاسم، استشهد في 1989/6/4م، ﴿عضو اللجنة المركزية للجبهة الديمقراطية﴾ ﴿رحمه الله﴾.
15. سبيل عن روح الشهيد عزات حلاحلة، استشهد بتاريخ 1990/8/10م ﴿رحمه الله﴾.
16. الشهيد مصطفى عبدالله العكاوي، استشهد بزنازين الاحتلال في سجن الخليل المركزي بتاريخ 1992/2/4م. ﴿رحمه الله﴾.
17. الشهيد امجد كامل شاهين، استشهد في ساحات المسجد الأقصى يوم مجزرة الحرم الإبراهيمي في الخليل بتاريخ 1994/2/25م ﴿رحمه الله﴾.
18. الشهيدان نضال ﴿جهاد﴾ فيصل عمّاو وجمال فيصل عمّاو، استشهدا بتاريخ 1994/6/21م ﴿رحمهما الله﴾
19. سبيل عن روح الشهيد مصطفى سليم الشاويش، استشهد في 1997/6/14م ﴿رحمه الله﴾.
20. الشهيد أسامة محمد آدم جّبرة، استشهد في 2000/9/29م ﴿رحمه الله﴾.
21. الشهيد سامر زياد أبو عيالة، استشهد في 2002/2/8م ﴿رحمه الله﴾.
22. الشهيدة عبير بسام عرامين، استشهدت في 2007/1/16م ﴿رحمها الله﴾.

obeikandi.com

23. الشهيد موسى علي عرامين، استشهد بتاريخ 2008/3/19م ﴿رحمه الله﴾.

24. الشهيد اسعد سعيد الشلدوي، استشهد بتاريخ 2008/8/8م ﴿رحمه الله﴾.

25. الشهيد هيثم داود اوهم مؤقت، استشهد في 15/حزيران/ 2012م ﴿رحمه الله﴾.

4.3 في المكانة والأهمية:

اكتسبت هذه المقبرة، كسائر مقابر بيت المقدس، أهمية خاصة بسبب موقعها في بيت المقدس، وبالقرب من مسجدها المبارك الذي بارك الله فيه وبارك ما حوله بنصّ قرآني صريح. وقد سبق وذكّرنا بمكانة الدفن في مقابر وترب بيت المقدس في صفحات سابقة من هذه الدراسة. ومن ناحية أخرى، فقد أكدت المصادر التاريخية الموثوقة بأن عدد السكان في القدس، قد ازداد في العصر المملوكي ليصل إلى حوالي 40 ألفاً أو يزيدون، وذلك بسبب الاستقرار الأمني والسياسي للبلاد الإسلامية في تلك الحقبة. ولم يكن هذا ليتحقق لولا ما تركه لهم صلاح الدين الأيوبي، ومن جاء بعده من الأمراء والحكام من الاستقامة والإخلاص في تعمير الديار، والعناية بالزوايا والأربطة والمساجد، وتنظيم شؤون الحكم. ولم تكن المقابر والمدافن بمنأى عن اهتمامهم، ولذلك كان غنى مقبرة "الساهرة " بقبور كبار القادة والمجاهدين من العهد الأيوبي. وينطبق ذلك أيضاً على مقبرة اليوسفية والتي أنشئت كذلك في ظل الحكم الأيوبي، حيث سميت بهذا الاسم نسبة إلى يوسف بن شادي – أي صلاح الدين الأيوبي–، وقد صدر الأمر بإنشائها لدفن العديد من الشهداء والمجاهدين من جيشه والذين أبلوا بلاءً حسناً في قتال الفرنجة في كامل الأرض الفلسطينية على وجه العموم، وفي بيت المقدس وأكنافها على وجه الخصوص.

وفي هذا السياق، فقد يكون أقدم نصّ للدفن في مقبرة اليوسفية، هو ما ذكره صاحب كتاب (ولاة مصر)، من أن أبا الحسن علي بن الإخشيدي، والذي توفي عام 355هـ، قد حُمل في تابوت إلى بيت المقدس ودفن مع أخيه ووالده بباب الأسباط (اليوسفية). وقد لا نجافي الحقيقة إذا ما قلنا أن العديد من المجاهدين والشهداء قد دفنوا في تلك المقبرة قبل هذا التاريخ وما تلاه. هذا من الزاوية التاريخية لمقبرة اليوسفية، أما ما يمكن الوقوف عليه

في زماننا هذا، والذي أكسب المقبرة مكانة خاصة عند سكان هذه الديار المقدسة، فيكمن في غناها بالمدافن العائلية الكبيرة والبارزة والتي يزيد عمرها عن قرن من الزمان، وهي تعود لعائلات مقدسية تمتعت بمكانة سياسية واجتماعية واقتصادية ليس فقط في بيت المقدس، وإنما في كامل الديار الفلسطينية، مثل؛ آل الدجاني، والعسلي، وبركات، وعبدُه، والعلمي، وغوشة، والأنصاري، والنمري، والبديري، والمهتدي، والداوودي، والقيمري، وطوطح، والخطيب الكناني....وغيرهم، وما أعقب ذلك من مدافن لعائلات أتت من عديد المدن الفلسطينية، والأرياف لإعمار القدس والدفاع عنها، وأصبحوا جزءاً أصيلاً من نسيجها الاجتماعي.

ولعل هذا ما جعل المقبرة غنية بأعداد الشهداء، والأعيان، والصالحين، والمربّين، والقضاة، والأطباء، والتجار والشيوخ، وقد أتينا على ذكر بعضهم في حديثنا عن الشهداء والأعيان، ممن تمكنّا من إحصائهم لأغراض هذه الدراسة. كما لا يمكن إغفال عوامل أخرى ساهمت أيضاً في بروز مكانة وأهمية هذه المقبرة، من مثل اتساع رقعتها مقارنة مع مقبرة "باب الرحمة"، وقربها من الباب الشرقي للمدينة (باب الأسباط)، حيث تخرج الجنائز بعد الصلاة عليها في المسجد الأقصى المبارك، لتوارى التراب في مقبرتي اليوسفية، وباب الرحمة الملاصقتين لسور المدينة الشرقي.

obeikandl.com

ضريح المرحوم الدكتور حسام وفا الدجاني توفي في 1 محرم 1396هـ/ 2 كانون الثاني 1976م.

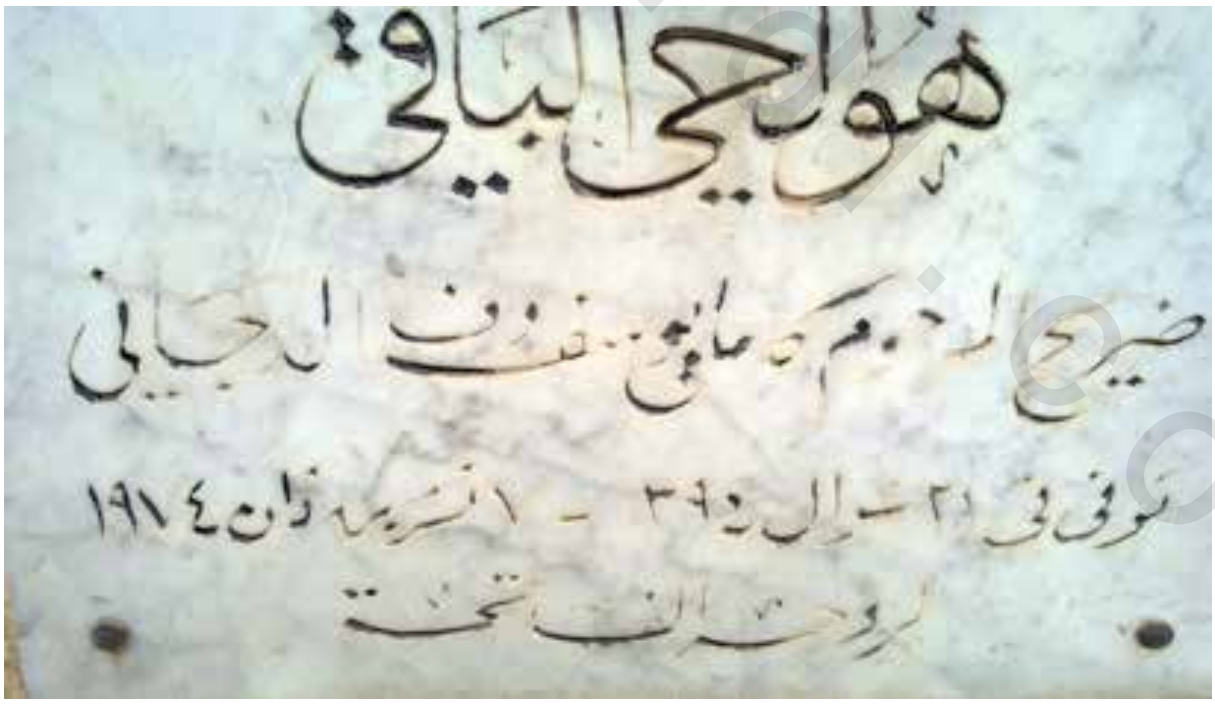

ضريح المرحوم كامل يوسف وفا الدجاني توفي في 21 شوال 1394هـ–7 تشرين ثاني 1974م.

ضريح ناهدة عثمان آغا أرملة المرحوم وفا يوسف الدجاني توفيت في 3 ربيع الأول 1393هـ/5 نيسان1972م.

أحد القبور القديمة لعائلة عبده المقدسية 1379هـ.

ضريح الشهيد راضي سعيد الددو ورفاقه شهداء معركة القدس 28 صفر 1387هـ/ 6 حزيران 1967م.

ضريح المرحومين، نهاد عليان أبو غريبة (ت2009م)، وولده وجدي نهاد ابو غريبة (ت1999/4/17م)

صورة لمقر لجنة رعاية شؤون المقابر الإسلامية "مقبرة اليوسفية".

ضريح الشهيد المناضل عمر محمود القاسم.

لوحة(نقش حجري) على أحد القبور في مقبرة اليوسفية هذا نصه:

هو الحي الباقي

اعتبر يا زائر القبر به إن فيه قد ثوى خير عمير

كان إبراهيم فينا بطلاً حسن السيرة مقداماً حمير

هو الاستامبولي نعم نسب رانه والناس تسمو بالجرود

قلت لما أن ثوى والأسفا رحمة الله على ذاك الفقير

مات إبراهيم في ذي الحجة حل ابراهيم في دار الخلود

1353م.

صورة لمدفن آل الدجاني على يسار الداخل إلى مقبرة اليوسفية ويظهر سورها القديم.

صورة أخرى لمدفن آل الدجاني.

صورة لمدفن آل العسلي إلى الشرق من مدفن آل الدجاني.

صورة لأحد الأضرحة المزخرفة للمرحوم الدكتور حلمي محي الدين المهتدي (ت 8 آب 1991م).

صورة لضريح المرحوم الدكتور محمد زهدي الدجاني.

صورة لمدفن كبير يصعب التعرف على أصحابه لكثافة الأعشاب البرية والاشواك حوله.

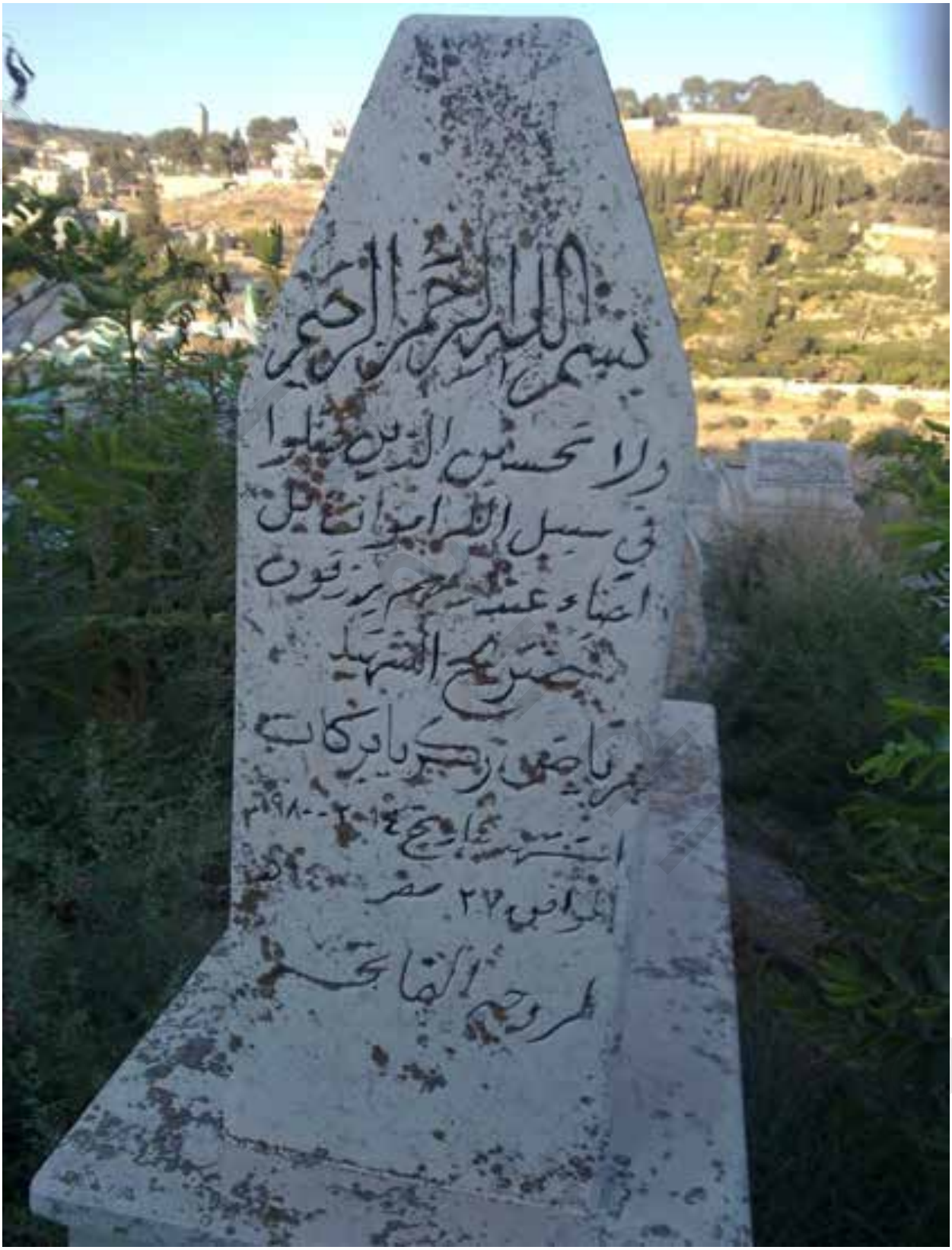

ضريح الشهيد رياض زكريا بركات استشهد بتاريخ 1980/2/14م.

ضريح الشهيد محمود يحيى الكرد استشهد في 1976/5/18م.

ضريح الشهيدين نضال (جهاد) فيصل حمّاد وجمال فيصل حمّاد.

ضريح الشهيد هيثم داود أدهم مؤقت استشهد في 15/حزيران/ 2012م.

صورة لأحد القبور المهدمة (مقبرة اليوسفية).

ضريح الشهيد مصطفى عبد الله العكاوي، استشهد بزنازين الاحتلال في سجن الخليل بتاريخ 1992/2/4م.

ضريح الاستاذ المربي المرحوم الحاج مطر احمد النخال توفي 1993/6/1م.

صورة للوحة الرخامية السوداء على ضريح الشهيد الرمز المناضل عمر محمود القاسم.

لوحة ثبتت على أحد الأضرحة بالقرب من البوابة الجنوبية للمقبرة وعليها دعاء زيارة القبور.

ضريح الشهيد خالد يوسف الشاويش، استشهد على أرض القدس في 4 رمضان 1409هـ– 1989/4/10م.

لوحتان الأولى عن اليمين/ للشهيد خالد يوسف الشاويش والثانية عن اليسار/ سبيل عن روح الشهداء خالد يوسف الشاويش والشهيد عزات حلاحلة وناصر مصطفى سليم الشاويش.

ضريح المغفور له الشيخ محمد عبد القادر الكفراوي– خطيب المسجد الاقصى المبارك– توفي 1994/4/17م.

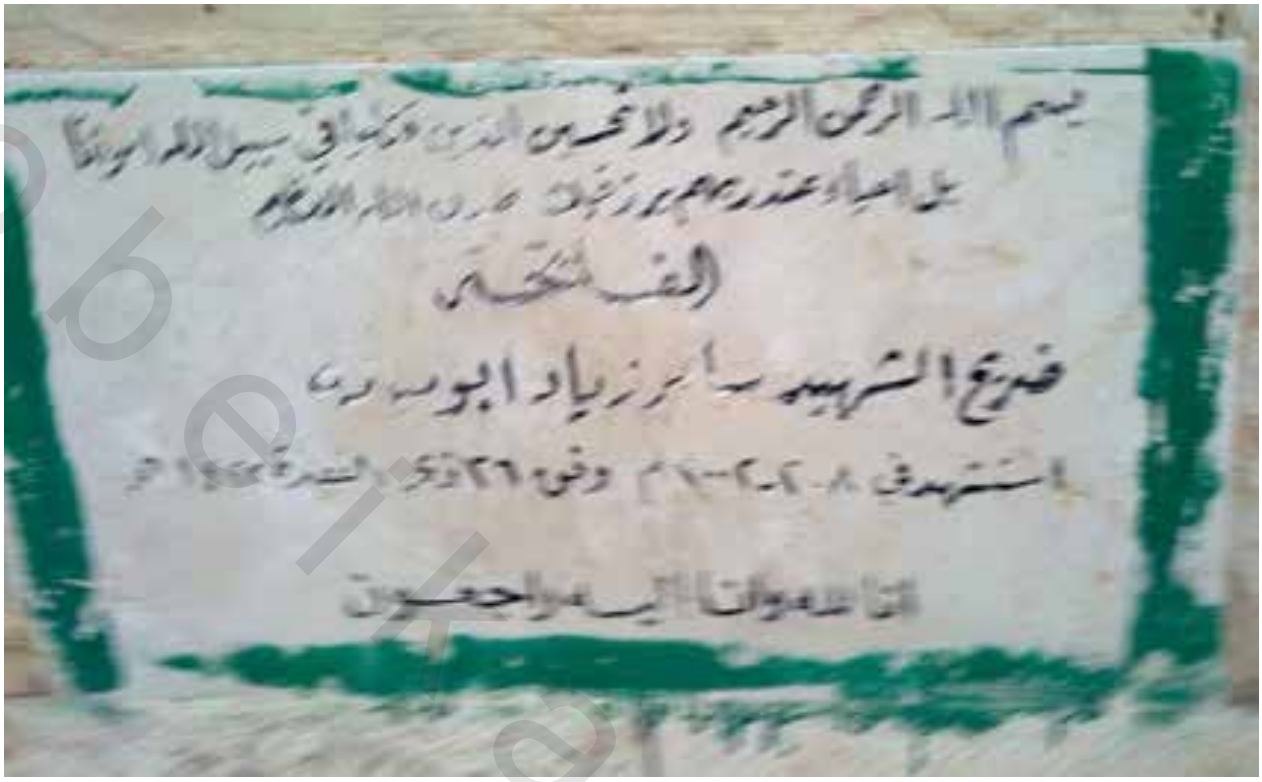

ضريح الشهيد سامر زياد ابو مياله استشهد في 2002/2/8م – 26 ذي العقدة 1420هـ.

ضريح الشهيد أمجد كامل شاهين استشهد في ساحات المسجد الاقصى يوم مجزرة الحرم الإبراهيمي في الخليل.

ضريح لذكرى الشهيد صلاح الدين شاهين وجميع رفاقه الذين استشهدوا على أرض لبنان في تموز 1982م.

صورة لضريح الشهيد ربحي قمر الدلال، استشهد بتاريخ 6 رمضان 1368هـ.

ضريح الحاج حسني أبو ميزر (ت 1954م) ونجله القاضي حسن حسني أبو ميزر (ت 1987م).

قبر المجاهد عبد الودود الكركي، استشهد في معركة حارة اليهود بالقدس، في 7 ربيع الثاني 1367هـ.

ضريح الشهيد المرحوم موسى علي عرمين، استشهد بتاريخ 2008/3/19م – الموافق 11 ربيع أول 1429هـ.

ضريح الشهيد أسامة محمد أدم جّده، استشهد في 2000/9/29م – شهيد انتفاضة الأقصى.

ضريح الشيخ محمد محمد ادريس القاضي برناوي/ شيخ الطريقة التيجانية في بيت المقدس 2001م/ 1422هـ).

ضريح المرحوم الشهيد طاهر احمد صندوقه، استشهد في حرب عام 1967م اثناء احتلال القدس.

أحد القبور القديمة التي لا تزال تحتفظ برونقها وجمال هندستها.

ضريح الشهيدين محمود صلاح رباح الشريف و عبد الحافظ كاشور استشهدا في 3 صفر 1399هـ الموافق 1979/1/1م.

ضريح الشهيد احمد خليل العسلي الذي استشهد في معركة القدس عام 1967م.

تصوير المؤلف: د.محمد بحيص عرامين.